سنة أولى ماستر التفسير وعلوم القرآن

مادة القرآن في الدراسات الاستشراقية

المحاضرة الثانية

مناهج المستشرقين في الدراسات القرآنية

من بين المناهج نجد المنهج التاريخي: وهناك قراءات عديدة لهذا المنهج من قبل بعض الباحثين منها ملامح المنهج التاريخي في كتاب تاريخ القرآن، وغيرها من المقالات.

ومن أبرز من اعتنى بهذا المنهج من المستشرقين نجد المستشرق تيودور نولدكه. في واقع الأمر "إن المنهج التاريخي إلى جانب منهج الدراسات المقارنة من جهة واللغوية من جهة أخرى قد تحركا سوية كمناهج علمية حظيت بقدر وافر من اهتمام نولدكه في رسم ملامح النبوة في الاسلام" .

وقد ظهر المنهج التاريخي عندما ترجم وليم جونز كتاب الفيدا للعالم الهندي بانيني وكانت تلك الإشارة الأولى للدراسات التاريخية المقارنة وهذا ما جعل الدرس التاريخي في بدايته درسا تاريخيا مقارنا، وقد ساد هذا المنهج في القرن التاسع عشر، نتيجة للاهتمام البالغ بالتطور المادي للعلوم.

ومن بين أسس هذا المنهج:

أولا: دراسة حياة اللغة بحقبها المتعددة.

ثانيا: دراسة تغيرات مستويات اللغة كافة .

ثالثا: الاعتماد على المخطوطات والآثار.

**شبهة الانقطاع وعدم وجود كتاب في عصر الوحي:**

**من بين الشبه المثارة نجد الادعاء الذي يقضي بعدم وجود كتاب في عصر نزول الوحي،** نجد هذا النقد لدى نولدكه في حديثه عن مخطوطات القرآن وتحديد أماكن كتابتها. يقول" نادرا ما توجد مخطوطات تحمل تاريخا أكيدا، وتكثر المخطوطات المؤرخة ابتداء من القرن الرابع، ما عدا النسخ المذكورة عند موريتس في الموسوعة الإسلامية، مج1، ص406، 405. لم أستطع التأكد إلا من تاريخين أحدهما: من عام 298، للورقة الأخيرة، المتبقية من مصحف دمشقي، وثانيهما تكملة المخطوط التي يزعم أن عليا كتبه، وتحمل تاريخ العام 307".

والحقيقة أن هذا الادعاء تاريخيا لا يصمد، فلو قمنا بتطبيق المنهج التاريخي الذي يرومه نولدكه لوجدنا التناقض فيما يدعيه، وأي بناء فلسفي أو منهج علمي لابد وأن لا يتناقض و القواعد التي يؤصل لها، فالذي يثبت تاريخيا كما نقل ذلك العلامة محمد حميد الله " أن الرواية الشفوية ليست هي الرواية الوحيدة التي اعتمدت في أوائل نزول الوحي، إذ أن المسلمين قد أمروا أن يكتبوا جميع ما فيه من حقوق العباد ويستشهدوا عليه فإن ذلك أقسط عند الله وأقوم للشهادة و أدنى أن لا ترتابوا" ومن ثم كتب النبي صلى الله عليه وسلم جميع المحالفات والمعاهدات مع القبائل والملوك، وقد كتب عمر رضي الله عنه الكثير من النسخ والتي احترقت حين احترق الديوان يوم الجماجم سنة 82 للهجرة، والذي بقي بعد ذلك قضت عليه صروف الزمن وغارة التتار. والواقع أنه وصل كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس والذي وجده المستشرق الفرنسي بارتيلمي في كنيسة في مصر، وكتاب النبي صلى الله عليه وسلم للمنذر بن ساوى والذي نشر صورته الألماني فلايشر. وإن كانت أصول أكثر الوثائق قد ضاعت فقد حفظ لنا رواة الأحاديث وأهل التاريخ جملة صالحة منها[[1]](#footnote-1).

من خلال هذا النص يضح لنا أن نولدكه لم يتحقق مما وصل إلينا من المخطوطات والكتب، وأن القول بندرة وجود مخطوطات أو كتب تحمل تاريخا أكيدا لا يسعفنا في الحكم على ذلك بالانقطاع أو بالروايات الشفوية.

**الشبهة الثانية: يرى نولدكه في فصل خصصه لنبوة محمد والوحي: أن النبي كان يتراءى له أنه مدفوع بقوة إلهية.** يقول:

"يقول جوهر النبي يقوم على تشبع روحه من فكرة دينية ما، تسيطر عليه أخيرا، فيتراءى له أنه مدفوع بقوة إلهية ليبلغ من حوله من الناس تلك الفكرة على أنها حقيقة آتية من الله" .

الرد:

إذن يعتقد نولدكه أن الخيال العجيب هو الذي ألهب وألهم النبي تلك الآيات التي نجدها في القرآن.

لاشك أن نولدكه ينطلق من أفكار لدودة تلقاها منذ طفولته كما يقول المحامي أحمد عمران الزاوي في كتابه جولة في "تاريخ القرآن" قال: "وإلا كيف نفسر قناعته وموقفه من القرآن الكريم". بيد أنني أود أن أنتقده ضمن السياق الذي ينطلق منه وهو التاريخي كما اختط لدراسته. ومن هنا نتساءل:

هل يمكننا القول بأن اتصال السماء بالأرض حاصل وثابت؟ هل يمكن أن يتلقى النبي الوحي من الله عز وجل؟ هل التاريخ يثبت ذلك أم ينفيه؟ هل العلم يثبت ذلك أم ينفيه؟

الإمكان العقلي: في واقع الأمر نجد أن الوحي عقلا ممكن الوقوع، فالعقل لا يستبعد ذلك

الإمكان العلمي: نجد أن العلم يقضي بأن الوحي ممكن الوقوع من خارج كيف ذلك؟

يفترض بعض العلماء أننا لو قلنا إن نصف قطر الكون 20 مليار سنة ضوئية؟ فإن الشبهة التي تنص على أنه كيف يمكن لجبريل أن يقطع نصف قطر الكون في 20 مليار سنة ضوئية، فلابد له في هذا الزمن من 20 مليار سنة، ليصل إلى الأرض، لكن العلم لا يسلم جدلا بهذا فقد أثبت أنشتاين في نسبيته العامة بطلان ذلك، إذ يمكن للجسم أن يقطع المسافة بسرعة تفوق سرعة الضوء وهنا ينعدم الزمن. وقد ثبت هذا أيضا في علم ما وراء النفس، وقد نص الكسيس كاريل صاحب كتاب الانسان ذلك المجهول إلى أن اعتقاد انحصار الانسان في الزمان والمكان ليست إلا مجرد فرضية، بمعنى قد لا يخضع للزمان والمكان.

بالتالي يصبح الإنكار العلمي والعقلي للوحي مسألة واهية لا تثبت على ساق الأدلة كما بينا سابقا.

الإمكان الديني التاريخي: كيف يمكننا القول تاريخيا ونحن نقف على نصوص القرآن و الآثار التي تثبت فتور الوحي وانقطاعه، هل يمكن لصاحب الخيال أن ينقطع عن مخيلته فترة ثم تعود إليه؟؟؟ وهل يمكن لصاحب الخيال أن يسأل في مسألة فينتظر نوزل الوحي ليجيب عن الأسئلة المقدمة، وهل يمكن أن يسأل عن الساعة والروح وغيرها فيقول قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو } هذا عن الساعة، وعن الروح قل الروح من أمر ربي وما اوتيتم من العلم إلا قليلا" وغيرها.

ولذلك تاريخيا فتور الوحي وانقطاعه وتباطؤ الوحي لما سئل عن بعض الأسئلة يدل على أن النبوة ليست استيحاء بل هي وحي.

إذ الوحي و النبوة اصفاء إلهي وللأسف نجد السير خان الهندي و محمد عبده قالوا بأنه نوع من الخيال؟؟؟

أيضا تاريخيا هل يمكن لنبي جاء وبعد كل هذه الفترة 1400 سنة لم يأت فيها نبي ادعى أنه بعث من السماء؟ ثم يقال إنه محض خيال أو كلام نحو هذا؟ أضف إلى ذلك أن هناك محاولات لجلة من العلماء ومنهم موريس بوكاي والذي أثبت أن جثة فرعون بقيت في الماء أقل من أربع وعشرين ساعة فكأنها وافقت قول الله تعالى فاليوم ننجيك ببدنك. وقد كتب موريس بوكاي التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، و كتاب موسى وفرعون وقد اكتشف ذلك لما قام بتشريح المومياء.

لا يسعنا في هذه المحاضرة المختصرة أن نورد كل الردود العلمية[[2]](#footnote-2).

وبالتالي تاريخيا لابد من إثبات صدق القرآن وأنه وحي من خارج.

**تلخيص لعناوين كتاب تاريخ القرآن ل: نولدكه**

**ملاحظة: ربما يحتاج منا الرد على كل مسألة إلى الاستزادة والتوسع في التحليل والمناقشة، ولذلك أردت أن أميط اللثام عن تفاصيل الردود، وأن أحيلكم على بعض الكتب الهامة التي تستفيدون منها[[3]](#footnote-3).**

**وهذا ملخص لعناوين كتاب نولدكه:**

لقد جاء فهرس موضوعات القسم الأول من كتاب "تاريخ القرآن" في طبعته الثانية في عنوانين رئيسين:

الأول: في نبوة محمد والوحي ،وتحته عنصرين هما :

أ)محمد نبيا مصادر تعليمه

ب)حول الوحي الذي تلقاه محمد

الثاني:" حول أصل أجزاء القرآن المختلفة " ، وفيه ما يمكن أن نسميه تمهيدا وعنوانا:

في التمهيد (58،65) حديث لنولدكه عن وسائل مساعدة للتحديد الزمني للسور وقائمة النزول مرتبة حسب الرواية في ذلك ،أما العنوانان فهما:

أ)أجزاء قرآننا الحالي : السور و الآيات(66\_234)

وتحته الموضوعات الآتية:

السور المكية (66\_164) :وتناول قيه تحديد الزمني لها ، مضمون هذا القسم وصفاته ،تقسيم "موير"و"جريمه" و "هيرشفليد "له

سور الطور المكي الأول: تأمل في سور :العلق ،المدثر ،المسد، وقريش ،إلى آخر السور التي يجعلها نولدكه في هذا الطور ، و يقول :وبشكل عام فإن بدايات كثير من السور فيها صيغ القسم (74\_117)

سور الطور المكي الثاني: تأمل في السور : القمر ،الصافات، نوح ، الإنسان وغيرها من السور التي يجعلها في هذا الطور .ويقول عموما فإنها تحوي اسم الإله الرحمان"(117\_143)

سور الطور المكي الثالث: تأمل في السور : السجدة، فصلت ،الجاثية، النحل وغيرها من السور التي يجعلها نولدكه في هذا الطور (143\_164)

السور المدنية:(164\_234):وبشكل عام فيها الأحوال السياسية و الدينية في يثرب قبل الهجرة ،ثم يتحدث نولدكه عن :الشعب الوثني والقبائل اليهودية ،النجاح المنقطع النظير للدعاية الإسلامية في هذه المدينة المنافقون، محتوى و أسلوب السور المدنية ،تأمل في سورة البقرة ،البينة ،التغابن، الجمعة، وغيرها من السور التي يصنفها أنها مدنية.

ب)نصوص الوحي التي لم تذكر في القرآن(234،261)

نصوص وترجمات متفرقة ، علامات فارقة للتمييز بين الوحي القرآني و غير القرآني.

القسم الثاني : وهو الذي يتناول فيه جمع القرآن وكان قد أعاده للطبع فأضاف أوغست فيشر بعض التصحيحات عليه و أصدره بعد وفاة" شفالي" كما أدخل شفالي تعديلات قيمة من حيث المضمون على الجزء الثاني ، بعكس ما فعله في الجزء الأول ،مما يجعل هذا الجزء إلى حد بعيد إنجازه خاص ، الذي لا يتضمن من النص الأصيل الذي وضعه نولدكه إلا القليل من المقاطع ولقد جاء فهرس موضوع هذا القسم في الطبعة الثانية في عناوين رئسية تمثلت فيمل يلي:

\*حفظ تدوين الوحي في أيام محمد على أساس تلويحات قرآنية ووضع السور النصي:

تناول فيها عملية التدوين وأكد أنه لا يوجد أي دليل على حدوث هذه العملية أعطى نماذج لبعض السور ، وأعتبر أن التدوين كان مجرد مشروع لمحمد صلى الله عليه وسلم.

\*جامعو القرآن غير الأصليين، أو حفاظ الوحي :ص(240\_242)

أكد فيها أن الذين يقول عنهم جامعوا القرآن الكريم فهم غير أصليين ودليله هو أن الروايات تختلف في عددهم و أسمائهم وقد تناول ضمن هذا العنصر "المعرفة الشعبية عند الخلفاء الأولين " كما يسميهم

\*المجموعات والنسخ المكتوبة : والتي تناول فيها طريقة جمع القرآن وركز على "علي" رضي الله عنه ص"242،23"

جمع زيد بن ثابت الأول : وصفه بأنه شاب ذكي جمع القرآن من الرقاع واللحاف وجريد النخل و الأكتاف ،والأضلاع وقطع الأديم والألواح ،وقد أكمل بحثه لأرشفة القرآن بلجوئه إلى أشخاص كانوا يحفظون مقاطع من القرآن غيبا وضمن هذا أضاف عناصر مختلقة وهي:

\*الرواية السائدة

\*الروايات المختلفة

\* نقد الروايات

والتي تناول فيها : الرواية التي تحدثت عن جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر وعمر ،ثم عرض مجموعة من الروايات المختلفة حول الجمع ثم نقدها ، ثم توصل إلى شكل المجموعة الأولى ومضمونها "ص246،252"

\*النسخ الأخر الشائعة قبل نسخة عثمان : وتناول ضمنها :ص"259،278".

\* النسخ الأخر الشائعة قبل نسخة عثمان : وتناول ضمنها :ص"259،278"

أ)شخصيات الناشرين ، إنتشار نسخهم وحفظها

ب)نسخة أبي بن كعب : تناول فيها قرآنه بحسب رواية الب)نسخة أبي بن كعب : تناول فيها قرآنه بحسب رواية "الفهرسة" وبحسب رواية الإتقان والسور الخاصة بقرائته وعلاقة هذه النسخ بالنسخة الرسمية .

ج)نسخة عبد الله بن مسعود : قرآنه حسب رواية الفهرسة و الإتقان وعلاقة القائمين ببعضها البعض و بنسخة عثمان

د)علاقة نسخ أبي بن كعب و ابن مسعود ببعضها البعض و بالنسخة الرسمية

ه)النسخ القرآنية الغامضة والمشكوك في أمرها

6)نشوء نسخة القرآن الرسمية في عهد الخليفة عثمان:من ص "279إلى 336"

والتي تناولت ضمنها مجموعة من العناصر من بينها :

\*النهج الذي أتبع في إنتاج النص ،وأهلية أعضاء اللجنة لمهمتهم

\*التحريفات التي يزعم أن أبا بكر وعثمان قاما بها في النص لقرآني

\*الإجراءات التي قامت بها السلطة لإنجاز مصحف عثمان.

7)القرآن المحمدي في علاقته بالكتب المقدسة المسيحية و اليهودية ص 342.

ثم ملحق: تناول فيه المصادر المحمدية و الأبحاث المسيحية الحديثة حول أصل الآيات والسور ونشوء كتاب القرآن من ص "345،431."

القسم الثالث : ويعالج الجزء الأخير "تاريخ نص القرآن" ،مناقشة أهم خصائص الرسم في مصحف عثمان ، مقارنا إياه بصيغ وقراءات غير عثمانية ثم يتناول بالتفصيل أنظمة القراءة وأشهر القراء ، ويعرض أهم المصادر التي تعنى بهذا الموضوع ، وينتهي الكتاب بعرض لأهم مخطوطات القرآن التي كانت معروفة لدى الباحثين أنداك

وسنعرض بعض ما ورد في هذا القسم : قسمة إلى ثلاثة فصول وملحق

الفصل الأول : تناوله فيه "الرسم" وأدرج تحته عناوين جزئية من بينها :

\*أخطاء النص العثماني ص 443

\* صياغات النسخ العثمانية ص447

\*ضبط الكتابة من ص459 إلى ص491.

\* الصياغات والقراءات غير العثمانية من ص496إلى 543.

الفصل الثاني: عنوانه " القراءات " و أدرج ضمنها مجموعة من العناوين وتحت كل عنوان جزئيات معينة ، ومن هذه العناوين مايلي:

1)مسائل أساسية:ص555إلى 586.

2)القراء و القراءات :ص 592.621.

3)كتب القراءات : ص633،667.

الفصل الثالث: عنوانه مخطوطات القرآن: وتضمن مجموعة من المواضيع في عناوين مختلفة من بينها:

\*الوضع الراهن لأبحاث المخطوطات ص677.

\*خط المصاحف القديمة ص679

\*تزويد المصاحف بعلامات القراءة والأجزاء وعناوين السور ص684،695،698.

\* وملحق : كان عبارة عن نماذج مخطوطات قرآن قديمة،ص701.

1. يجدر بالذكر أن هناك باحثا اسمه محمد حميد الله، ألف كتابا أسماه مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، طبق فيه المنهج التاريخي وأثبت أن الرواية الشفوية ليست هي الرواية الوحيدة التي غلبت على العرب، مستدلا بوثائق وأدلة علمية وجدها أيضا لدى باحثين و مستشرقين. ينظر: ص 24 [↑](#footnote-ref-1)
2. نزول الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم، وهو في السفر أو على الناقة أو مع الصحابة كلها توحي بأن الوحي لا يكون استيحاء بل وحيا من الله تعالى لفظا و معنى، وطلبه لبعض المطالب التي لم تتلقى بالموافقة والقبول ولم تحظى بذلك والآيات في ذلك كثيرة. [↑](#footnote-ref-2)
3. النبأ العظيم لدراز، الظاهرة القرآنية مالك بن نبي، المستشرقون والدراسات القرآنية محمد حسين الصغير، مجموعة الوثائق السياسية محمد حميد الله، رضا محمد الدقيقي الوحي إلى محمد بين الإنكار والتفسير النفسي، القرءات القرآنية في كتاب تاريخ القرآن لنولدكه، ل مالك حسين شعبان حسن، وغيرها كثير. [↑](#footnote-ref-3)